النصيحة

الاستقرار الأسري من خلال أواخر سورة الفرقان

بن سالم باهشام
أستاذ العلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستقرار الأسري

من خلال أواخر سورة الفرقان

بن سالم باهشام

أستاذ العلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

مقدمة

بنى الله العالم كله على نظام الزوجية، وقال سبحانه: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[2]، ولم يُستثن من هذا النظام حتى الإنسان الذي هو سيد الكون، إلا أنه سبحانه ترك له الاختيار في ذلك، فالذي اتبع منهج الله وُفق لتحقيق هذه الزوجية؛ وكون أسرة صالحة كان أفرادها زوجا وذرية قرة عين له، والذي حاد عن الطريق، خاب وخسر وشقي دنيا وأخرى، وبدأت هذه الزوجية في عالم الإنسان على عين الله تعالى، وتجلت صورتها الواضحة، في آدم وحواء عليهما السلام، وهي أول أسرة بشرية تكونت في هذا العالم الدنيوي، وفيهما قال الحق جل وعلا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[3]. ولتحقيق هذا

---

[1] – سورة الذاريات، الآية 49.

[2] – سورة يس، الآية 36.

[3] – سورة النساء، الآية 1.

التزاوج واستمراره، شرع الدين الزواج، وبين أحكامه وآدابه، ورفع من شأنه، واعتبره ميثاقا غليظا؛ فقال سبحانه: ﴿**وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**﴾[1]، وحرم الزنا وبرهن على خطورته، فقد روى أحمد عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلى الله عَليه وسَلم قَالَ: (**مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الرِّبَا وَالزِّنَا إِلاَّ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عِقَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**)[2]. وقد رواه ابن عبد البر في التمهيد بلفظ : (**إِذَا ظَهَرَ الرِّبَا وَالزِّنَا فِي قَرْيَةٍ أَذِنَ اللَّهُ فِي هَلَاكِهَا**). وحث الإسلام الشباب على المبادرة بالزواج إذا تحققت الباءة والتي لا تنحصر في المجال المادي فقط، وإنما تشمل كل ما يتعلق بالزواج من تدين وتخلق وعلم بأمور الزواج بالأساس، فـعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، وَعِنْدَهُ عَلْقَمَةُ وَالأَسْوَدُ، فَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ لاَ أُرَاهُ حَدَّثَ بِهِ إِلاَّ مِنْ أَجْلِ ي، كُنْتُ أَحْدَثَ الْقَوْمِ سِنًّا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– شَبَابًا لاَ نَجِدُ شَيْئًا ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمُ**

---

[1] – سورة النساء، الآيتان 20– 21.

[2] – أخرجه أحمد (402/1، رقم 3809). وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (396/8، رقم 4981). قال الهيثم ي (118/4): إسناده جيد. صححه أحمد شاكر والألباني . صَحِيح الْجَامِع: 5634، صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب: 1860.

الْبَاءَةَ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ)[1]، وجعل سبحانه الزواج آية من آياته العظمى، فقال عز وجل: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[2]. وحذرنا من مكر الشيطان للإنسان في السعي لتقويض صرح الأسرة التي هي الخلية الأولى للمجتمع، إذ بصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع، فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قال: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، أو قَالَ: فَيَلْتَزِمُهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ)**[3]. لهذا يعتبر من التهور والمخاطرة بالنفس والدين والدعوة، وبالمجتمع كله، الدخول إلى عالم الزواج الذي فيه إعلان حرب

---

[1] – أخرجه أحمد (378/1، رقم 3592)، والبخاري (1950/5 ، رقم 4778) واللفظ له، ومسلم (1018/2، رقم 1400)، وأبو داود (219/2، رقم 2046)، والترمذي (392/3، رقم 1081)، والنسائي (170/4، رقم 2242)، وابن ماجه(592/1 ، رقم 1845)، وابن حبان (335/9، رقم 4026).

[2] – سورة الروم، الآية 21.

[3] – أخرجه أحمد (314/3، رقم 14417)، وعبد بن حميد (ص 316، رقم 1033)، ومسلم (2167/4، رقم 2813)، وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (415/6، رقم 8721).

على الشيطان وجنوده، دون التسلح بتعاليم الإسلام السمحة علما وعملا وتخلقا، وإبليس لعنه قد أجلب على الإنسان بخيله ورجله وشاركه في المال والولد، ومن أنواع التحصينات التي أرشدنا إليها الدين الإسلامي للوقاية من الشيطان وشركه، الاتصاف بصفات عباد الرحمن من أواخر سورة الفرقان، وبعدها الافتقار إلى الله بالدعاء للحظوة بالأسرة الصالحة والإمامة في الدين.

والتركيز على الرجوع إلى صفات عباد الرحمن من أواخر سورة الفرقان، وتدبر آياتها، وبذل الجهد فرادى وجماعات للتخلق بتلك الصفات، هو من شيم الربانيين رجال التربية من الصالحين الذين قدّروا دور الأسرة، وعلموا مكايد الشيطان، وفساد النفس، ومخاطر الطريق، وأدركوا أهمية هذه الصفات وأثرها الإيجابي الفعال على الذكر والأنثى والمجتمع والبشرية جمعاء على مر العصور والدهور، يقول العارف بالله عبد السلام ياسين رحمه الله في تنوير المؤمنات، وهو يوصي كل مسلم ومسلمة بالرجوع إلى هذه الآيات المحصنات للفرد والأسرة؛ وتدبرها والعمل بها، والدعوة إليها: (نهي النفس عن الهوى يشبه زجر الدابة ومنعها من علفها. وذاك هو الأصل اللغوي لفعل "صبر". قالت العرب: صبرتُ الدابة أي حبستها عن العلف. هكذا نرى أن معالجة النفس وزجرها عن اتباع الهوى وعن زلقات الغريزة وخُطْوات الشيطان وحملها على الطاعات لله عبودية له وخوفا منه وتصديقا بوعده ؛ هي الخصلة التي تدور عليها سعادة المرء وشقاؤه، خسرانه أو فوزه.

جاء وعد الله عز وجل للمتقين الذين صبروا ، بالغرفة والتحية والسلام في أواخر سورة الفرقان، بعد سرد صفات عباد الرحمن ﴿**والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما**﴾[1].

انظري يا أخت الإيمان في مصحفك من الآية 63 من سورة الفرقان، وادرسي وابحثي في التفاسير، وناقشي مع المومنات صفات عباد الرحمن، وتعلَّمي أن كتاب الله تعالى جاءنا بلسان عربي مبين، والعرب تخبر بصيغة المذكر عن الجمع من نساء ورجال. تغليب لغوي فقط. وعباد الرحمن هم النساء و الرجال الذين اكتملت فيهم الصفات الخلقية الصبرية الواردة في الآيات الكريمة. تحكّم الرجل والمرأة في الهوى ؛ هو المعيار لا الجنس. والسعادة الأخروية لا يحتكرها من يدعيها من المترهبين. هاهم أولاء عباد الرحمن مستقرين أزواجا في أسرتهم مع ذرياتهم. من فضائلهم الحميدة وأخلاقهم المجيدة وعباداتهم الرشيدة أنهم يدعون ربهم هنا في الدنيا ﴿**يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما** ﴾، يقوله الزوج الرجل ، وتقولها الزوج المرأة. والذرية الصالحة، والوُد بين الزوجين ، سعادة تبدأ من هنا في الدنيا قرةَ عين. قرة العين غاية السرور. والذي يفرح له المؤمن وتفرح المؤمنة فوق كل شيء ، الاطمئنان إلى أنهما وذريتهما سائران في طريق السعادة الأخروية.

---

[1] – سورة الفرقان، الآية: 74.

كيف اكتساب الفضائل الإرادية القوية الممانعة للهوى ، المتحكمة في النفس وفي وجهة السير. بعبارة أخرى ، كيف السبيل إلى السعادة؟ وهل الصبر يُسعد خارج الإيمان؟ هل هو فضيلة بشرية في الفِطر كلها، أو هو والإيمان كسب وتربية؟ كيف يتجدد الإيمان وكيف يبلى، كيف يزيد وينقص؟ كيف تتدرب الإرادة وتقوى؟ كيف تُنهى النفس وتُصرف عن الهوى؟ أسئلة جوهرية يأتي البحث فيها إن شاء الله . ونتأمل هنا طريق السعادة التي يسلكها المتقون عباد الرحمن. إنها طريق شاقة. إنها عقبة. إنها امتحان وابتلاء. إنها بكل المعنى الثقيل ثقلا بليغا لكلمة "صبر". إنها مسؤولية. إنها قوة. إنها إرادة. إنها اقتحام. و كلمة اقتحام تحمل معاني جِساماً. قال أهل اللغة رحمهم الله: "الاقتحام توسُّط شدة مخيفة")[1].

أ – التعريف بسورة الفرقان:

1 – اسم السورة:

تسمى سورة "**الفرقان**" حيث وردت التسمية في الحديث الصحيح، الذي أخرجه مالك، والشافعي، والبخاري، ومسلم، وابن حبان، والبيهقي في سننه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **(سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ**

[1] – عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، ص 13 – 15، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1996م.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِيهَا ، فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرْسِلْهُ ، ثُمَّ قَالَ : اقْرَأْ يَا هِشَامُ ، فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :، هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ لِي : اقْرَأْ، فَقَرَأْتُهَا ، فَقَالَ: هَكَذَا أُنْزِلَتْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)[1].

2 – عدد آيات سورة الفرقان وترتيبها:

عدد آيات سورة الفرقان سبع وسبعون آية ، في قول جميع القراء [2]، وهي السورة الثانية والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة يس ، وقبل سورة فاطر[3]، وهي السورة الخامسة والعشرون في ترتيب المصحف جاءت بعد سورة النور.

3 – المرحلة الزمنية لنزول سورة الفرقان:

---

[1] – البخاري، الجامع الصحيح للإمام البخاري، كتاب الخصومات، باب كلام بعضهم في بعض: 3/ 90؛ ومسند الإمام أحمد: 1/ 40.

[2] – منار الهدى للأشموني، ص 198؛ وحاشية الشهاب على البيضاوي: 6/ 405.

[3] – السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، 1/ 72، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت.

سورة الفرقان مكية في قول الجمهور ، نزلت قبل الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة. وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: هي مكية إلا ثلاث آيات منها ، نزلت بالمدينة وهي: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ** ﴾[1]. والصحيح عن ابن عباس أن هذه الآيات الثلاث مكية ، كما في صحيح البخاري في تفسير سورة الفرقان: عن القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير: (هل لمن قَتَل مؤمناً متعمداً من توبة؟ فقرأت عليه ﴿ **وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ** ﴾ فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها عليَّ، فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء)[2]. يريد قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[3]. وعن الضحاك: أنها مدنية إلا الآيات الثلاث من أولها إلى قوله: ﴿ **وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا** ﴾[4].[5] وهو قول شاذ لم ينقل عن غيره. وأسلوب السورة وأغراضها شاهدة بأنها مكية كلها. وأنها تمثل **المرحلة الثالثة** من مراحل السور المكية: فإن المشركين في مكة وقفوا من دعوة الحق مواقف متباينة فيه تدرج، وهو شأن البشر تجاه الدعوات

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 68.

[2] – البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير: 6/ 15.

[3] – سورة النساء، الآية 93.

[4] – سورة الفرقان، الآية 3.

[5] – ابن عاشور، التحرير والتنوير، 18/ 313.

الجديدة التي تهدف إلى تقويض الدعائم التي تقوم عليها المجتمعات، وتسعى إلى ترسيخ دعائم جديدة ومبادئ جديدة لإقامة الصرح الاجتماعي عليه. وهذه المرحلة تتميز بـإثارة الشبهات حول الدعوة ، وإثارة الشبهات حول الداعية المربي المصحوب. فألقوا تهمهم وافتراءاتهم جزافاً على القرآن العظيم[1]:﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ**

---

[1] – من العادة أن يتلقى الزعماء والقادة ومن بيدهم السلطة الدعوة الجديدة حسب المراحل والخطوات الآتية:

أ– عدم المبالاة بها وبالقائم بالدعوة لأنه ينادي في قوم قلّ من يسمع له، فهي صرخة في واد، أو نفخة في رماد. ويتربصون به ريب المنون ، ينتهي مع دعوته ، ويمضي كما مضى غيره من الشعراء وأهل الآراء الغريبة ، ﴿**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ** ﴾.

ب– محاولة التعرف على ما يريده صاحب الدعوة ، ومحاولة ثنيه عن دعوته بالترغيب والترهيب، وذلك بعد أن يزداد عدد أتباع الداعية، وربما دخل في الدعوة بعض المقربين من الزعماء وبعض حاشيتهم وأقربائهم الأدنين، فيشعرون بخطورتها على مصالحهم وأهوائهم. فمن مساومة على العقيدة ﴿ **وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ** ﴾. حيث قالوا: اترك سب آلهتنا وتسفيه أحلامنا، ونتركك وشأنك، وربما عرضوا عليه أن يعبد آلهتهم سَنة ويعبدون إلهه سَنة ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾[1]. وربما عرضوا عليه المال والجاه والنساء "... إن كنت تريد زعامة سوَّدناك علينا، فلا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد نساء زوجناك عشراً من فتياتنا...".

ج– فإن لم تنفع المساومة حاولوا إلقاء الشبه على دعوته (الأفكار) وإلقاء الشبه على سيرته (السلوك)، أو المطالبة بالبينات والخوارق المادية والتعجيزية.

آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[1]. كما حاولوا التشكيك في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ **وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**﴾[2].

4 – المناسبة بين آخر سورة الفرقان وما قبلها من نفس السورة:

لما ذكر تعالى الكفار بالفظاظة والغلظة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وعداوتهم له ، ومظاهرتهم على خالقهم، وختم الحديث عنهم وعن عدم انتفاعهم بالآيات القرآنية ، والآيات الكونية، وبشخص الرسول صلى الله عليه وسلم النبي المصحوب، لأنهم عباد الشيطان ولا يتذكرون، ولا يشكرون لما لهم من القسوة. عطف على هذا المقدّر أضدادهم واصفاً إياهم بأضداد أوصافهم، مبشراً لهم بضدِّ جزائهم، فقال سبحانه: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...** ﴾، فأضافهم إليه رفعة لهم، وإضافتهم إلى صفة الرحمن أبلغ ،

د– فإن لم تنفع المحاولات السابقة كلها لجؤوا إلى الإيذاء والمقاطعة الاقتصادية والحبس والنفي أو محاولة التصفية الجسدية.

[1] – سورة الفرقان، الآيتان 4 – 5.

[2] – سورة الفرقان، الآيتان 7 – 8.

عندما أنكر الكفار هذه الصفة. لما قيل لهم ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ، قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ؟ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا**﴾[1].

وهكذا ختمت سورة الفرقان بذكر أوصاف عباد الرحمن، فكأنهم الثمرة للجهاد الشاق الذي بذله النبي صلى الله عليه وسلم، المربي المصحوب، الذي أُنزل عليه الفرقان، ووصفهم بخصال تتعلق بتعاملهم مع أنفسهم، وتعاملهم مع غيرهم من الناس، ومعاملتهم لربهم جلَّ جلاله. فعباد الرحمن هم المثال الحي الواقعي للفئة التي أراد الإسلام تكوينها بمنهاجه التربوي الخاص بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحت إشرافه، وهم الذي يستحقون أن يَعبَأ بهم رب السماوات والأرض، ولولاهم؛ ولولا تضرعهم إلى ربهم لَمْ يعبء الرحمن أن ينزل بأسه بأهل الأرض جميعاً.

5 – مناسبة الآيات لمحور سورة الفرقان:

إن خاتمة السورة التي اشتملت على صفات عباد الرحمن بمثابة النتيجة لمحور السورة، فالمحور اشتمل على المعجزة – القرآن الكريم – والرسول المربي المصحوب صلى الله عليه وسلم الذي أنزلت عليه المعجزة.

فالمعجزة الرسالة، وضعت المنهج الرباني الذي دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وربى عليه صحابته رضي الله عنهم في العقائد والسلوك والتعامل مع الآخرين.

[1] – سورة الفرقان، الآية 60.

والرسول صلى الله عليه وسلم طبّق هذا المنهج في حياته العملية ، فكان النموذج العملي لهذا المنهج الرباني. ودعا القوم إلى الالتزام به ، وجاهد في سبيل ذلك ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[1].

ومن خلال ذلك جاءت افتراءات القوم على المعجزة (القرآن) وعلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالتالي جاء الدفاع عن المعجزة وعن صاحبها، ورد تلك الافتراءات. وختم السورة بذكر صفات عباد الرحمن فيه أكثر من دلالة، منها:

*سلامة المنهج، وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوته، حيث أدى صبره ودعوته إلى الالتزام بهدايات الرسالة إلى هذه الفئة المؤمنة الربانية. والوصف يشمل المؤمنين إلى يوم القيامة ويدخل فيهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولاً أولياً.

*إن هذه الصفوة من البشرية هي التي يعبأ بها الرحمن جلَّ جلاله، ولولا وجودهم لكان لزاماً أن ينزل عقوبته بأهل الأرض ولا يبالي بهم ولا يكترث لوجودهم.

*وفي الخاتمة تسرية وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن يتوقع أن تثمر جهوده مثل هذه الثمار اليانعة وهذا النتاج الطيِّب الكريم ، يصبر

---

[1] - سورة الفرقان، الآية 52.

على ما يعترض سبيله من عقبات وأشواك ، ويبذل المزيد من الجهد للوصول إلى النتائج الطيبة.

ب – الاستقرار الأسري من خلال أواخر سورة الفرقان

1 –المعنى الإجمالي لأواخر سورة الفرقان:ملامح الشخصية الإسلامية.

ما هي الصورة التي يريد الله لعباده أن يتمثلوها في سلوكهم العملي في الحياة، وفي أنفسهم، وعلاقاتهم بالله والآخرين؟ ومن هم هؤلاء الذين اختصهم الله بانتسابهم إليه في كلمة (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ)، وجعلهم من المقربين إليه، ووعدهم بجنته في الدار الآخرة؟

إن هذا الفصل الأخير من سورة الفرقان، يلخص لنا بعضاً من هذه الصفات التي تتنوّع في مواقعها من حياة الإنسان وحركته العملية في كافة جوانبها الروحية والمادية، وتكسبه ألواناً من الحركة في مواجهة الواقع.

قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ**

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾[1].

جاءت خصال عباد الرحمن في خاتمة سورة الفرقان، للإشارة إلى أن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، قد اشتمل على الرسالة الربانية، والمنهج الإلهي، الذي من شأنه أن ينشئ فئة من الناس تحت رعاية وإشراف الرسول صلى الله عليه وسلم النبي المصحوب، هذه أوصافها وخصالها. وهي شهادة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنجاح دعوته، وتربيته، فالمذكورون هم أتباع الفرقان عامة، ويدخل فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخولاً أولياً. وجاءت هذه الخصال على أربعة أقسام:

---

[1] – سورة الفرقان، الآيات 63-77.

أ- قسم المتحلين بالكمالات الدينية:

قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾[1].

ب- قسم المتخلين عن ضلالات أهل الشرك:

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ** ﴾[2]. من عادة القرآن ذكر التخلية قبل التحلية، وفي ذكر صفات عباد الرحمن ؛ نجد عكس هذا الأمر، حيث ذكرت التحلية قبل التخلية، والحكمة في ذلك – والله أعلم – أن الصفات التي قدمت في ذكر ﴿ **يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾[3]. صفات جبلية فيهم غير مكتسبة، والتخلية والتحلية تكون للصفات المكتسبة. كما أن في التواضع والحلم نوعاً من التخلية؛ فالتواضع تخلية عن الكبر، والحلم تخلية عن السفه والطيش.

جـ- قسم أهل الاستقامة على شرائع الإسلام:

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا**

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 63.

[2] – سورة الفرقان، الآية 68.

[3] – سورة الفرقان، الآية 63.

وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[1].

د- قسم من يطلب الزيادة من صلاح الحال:

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾[2]. وجاء هذا القسم بعد الاتصاف بالأقسام السالفة الذكر. وهو القسم الذي فيه التطلع لأعلى المقامات وصلاح الأسرة.

2 – مقاصد الآيات من أواخر سورة الفرقان:

صلاح الأسرة، وبلاغ المقامات العليا من الدين، لا يكونان بمجرد الدعاء دون الأخذ بالأسباب، مصداقا لقوله تعالى من سورة آل عمران:
﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**

---

[1] – سورة الفرقان، الآيات 64 – 72.

[2] – التحرير والتنور، لابن عاشور: 19/ 67. سورة الفرقان، الآية 74.

بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[1]، وهذه الأسباب هي الصفات الخلقية السابقة الذكر، لهذا من المفروض أن نبادر بالتحلي بها، وهذا يتطلب تخصيص كل صفة من صفات عباد الرحمن بكلام مختصر نذكر فيه أهمية هذه الصفات للمؤمن، والأسلوب القرآني في التعبير عنها ، ومكانها من شعب الإيمان والخصال العشر، فهي الأسلوب الرباني الكافي لصلاح الزوج المرأة، والذرية، وبلوغ مقام الإمامة من الدين، قال تعالى: **﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى، وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾**[2]:

*التواضع: (خصلة التؤدة). قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ بما تعنيه الصفة الإلهية من معنى الرحمة التي تمثل عمق المعنى في ذاته المقدّسة، وما توحي به من لطف الله بالإنسان في روحيته وفي حركة حياته ووعيه لوجوده، وفي عمق المسؤولية التي تربطه بالله، وتجعله يتطلّع إلى آفاق الرحمة الإلهية ، آملاً أن تحتويه بالخير والبركة والتوازن والانضباط في السلوك العملي بين يدي الله.

---

[1] – سورة آل عمران، الآية 195

[2] – سورة الأنبياء، الآيتان 89، 90.

﴿**الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا** ﴾.فلا يرون المشي حركةً استعراضيّةً، ولا تنفيساً عن عقدةٍ ذاتيةٍ في انفتاح الذات على شعور العظمة، على طريقة الخيلاء والتكبّر، ولكنهم يرونه مجرّد وسيلةٍ طبيعيةٍ للانتقال، ولذا فإنهم يتحركون فيها بالطريقة الطبيعية التي تحقق الهدف، من دون زيادةٍ ولا نقصان، فلا يثقلون الأرض بضربات أقدامهم، ولا يثقلون على أجسادهم بالزهو والخيلاء، ولا يسيئون إلى مشاعر الناس الذين يلتقونهم بحركات الكبرياء، بل يتحركون برفق وتواضع، في تذلل المؤمن عند نفسه، وتواضعه للناس.

وهذه الشعبة الثامنة والستون من شعب الإيمان، والتي هي " **التواضع**"، وتندرج ضمن خصلة التؤدة [1]، والتواضع خُلق جبلي في عباد الرحمن ، وذكر في الآية، الأرض ، في سياق التعبير عن تواضعهم ، للتذكير بالأصل الإنساني الذي خلق من الأرض، فمن تذكر أصله ، لا يمكن أن يتكبر على عباد الله، وهو يعلم أنه مخلوق من هذه التربة المحقرة التي تداس بالأقدام، قال تعالى: ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾[2]. ولذا كان من المناسب أن يذكّر المتكبر المتعجرف على عباد الله، المتمرد على أحكام شرع الله، بأصله، والتربة التي خلق منها.

---

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 290.

[2] – سورة طه، الآية 55.

﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** ﴾[1]. والتواضع خُلُق رفيع، يزين أهل العلم والفضل والنسب والجاه، ويزيدهم جمالاً على جمال، وبهاء وعزاً على ما هم فيه.

* الحلم:(خصلة التؤدة)، قال تعالى:﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾. فهم لا ينطلقون مع الناس الذين يثيرونهم بالكلام القاسي اللامسؤول، من مواقع ردّة الفعل الغريزية التي تتحرك بطريقة الإثارة، في مواجهة الكلمة القاسية الغليظة بالكلمة المماثلة في قسوتها وغلظتها، أو في مقابلة الشتم والسباب، بكلمات الشتم والسباب المماثل أو غير المماثل، بل يدرسون المسألة من موقع العقل المتأمّل الواعي المنفتح على الواقع من جميع جوانبه، فإذا رأوا للموقف خطورةً تستدعي الردّ، كان ردهم لطيفاً حاسماً، وإذا لاحظوا أن الجاهلين يتحركون . في كلامهم . من مواقع الجهل الذي يتعمد الإثارة، ليخلق مشكلة، أو يثير فتنةً، أعرضوا عن الردّ المباشر وكانت روح السلام الذي يتفادى المشكلة والفتنة والإثارة، هي موقفهم ومنطقهم، فاكتفوا بكلمة (سَلاَماً)، هذا الردّ العاقل المتزن الموحي الذي يقول للجاهلين لسنا هنا في معرض الانفعال

---

[1] – سورة الكهف، الآية 37.

للدخول معكم في حرب، بل نحن هنا، في موقع الإعراض عن جهلكم، بروح السلام. وهذه هي الطريقة الحكيمة التي يواجهون بها خطاب الجاهلين، عندما يحتاج الموقف إلى ذلك، على سبيل الكناية، إمساكاً منهم بالموقف وتحقيقاً لمبتغى المصلحة في ذلك.

وهذه هي الشعبة السابعة والستون من شعب الإيمان والتي هي" **الرفق والأناة والحلم ورحمة الخلق** "، وتندرج ضمن خصلة التؤدة [1]، فبالإضافة إلى كمالات عباد الرحمن الذاتية مع أنفسهم، يتحلون بالكمالات الخلُقية عند تعاملهم مع غيرهم، وعلى رأس هذه الكمالات الحِلم، فإذا تعرضوا لخطاب فاقدي العلم والحكمة، ظهرت آثار علمهم وحكمتهم على تصرفهم، فأعرضوا عن سفاهة الجاهلين، وتركوا المقابلة بالمثل، ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾[2]، وهو سلام متاركة وإعراض، وليس سلام تحية وترحيب، وهو شأن المؤمن في كل تصرف مع أهل السفه والطيش. كما جاء ذلك في قوله تعالى في سورة القصص: ﴿ **وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾[3]. والحلم على أذى الآخرين والإعراض عن الجهالات، من الآداب الرفيعة، والمروءات

[1] - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 289.

[2] – سورة الفرقان، الآية 63.

[3] – سورة القصص، الآيتان 54 – 55.

المستحسنة. فالنزول إلى درجة السفهاء نوع من الطيش ، لهذا يقال: إذا لم تستطع أن ترفع خصمك إلى مكانتك، فاحذر أن تنزل إلى مكانته فتتساوى معه.

* التهجد: (خصلة الذكر)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾.

﴿**وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾.فهم المؤمنون بالله، المنفتحون على ألوهيته في حقيقة التوحيد، الخاشعون في إحساسهم العميق لله سبحانه وتعالى، المتحركون في مشاعرهم وأفكارهم في خط الممارسة العملية الواعية، الراكعون أمام الله بالخضوع له، الساجدون مع انسحاق الإرادة وذوبانها في جنبه . تعالى . القائمون في استسلام الروح والجسد والقلب والضمير بين يديه، حيث ينام الناس في غفوة الغفلة، واسترخاء الجسد، ويبيتون هم في يقظةٍ منفتحةٍ واعيةٍ في سجود خاشعٍ، وقيامٍ خاضعٍ لله سبحانه، كرمزٍ للقيام الدائم أمامه في حركة الحياة كلها.

وهذه هي الشعبة الرابعة عشرة من شعب الإيمان، والتي هي " **النوافل**"، وتندرج تحت خصلة الذكر [1]، فبعد أن ذكر الله تعامل عباد الرحمن مع أنفسهم، وتعاملهم مع غيرهم، ذكر صلتهم بخالقهم المحسن إليهم، وخصوا الليل بالصلاة والقيام ، ليكون أبعد عن الرياء، ولأن الخشوع فيه أكثر ،

---

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 155.

ولأنه أفضل الصلاة بعد الفريضة، وأثقل على النفس من كل النوافل، وبالمحافظة عليه ستتم المحافظة بإذن الله على سائر نوافل الصلاة الأخرى، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا** ﴾[1]. وعندما علّل سبحانه وتعالى تبوأ المتقين للجنات والعيون، ذكر قيامهم الليل فقال: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آَخِذِينَ مَا آَتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[2]. وقد أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المربي المصحوب، ومِن ورائه بالسند النوارني المتصل أمته إلى يوم الدين، بالاستمرار والدوام على الذكر وقيام الليل، لما في الليل من الصفاء الروحي، والتلذذ بالمناجاة والابتهال ، فقال سبحانه: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا** ﴾[3]. وخص سبحانه وتعالى في الآية السجود بالذكر، وقدم ه على القيام، لأن العبد يكون أكثر قرباً من الله وهو ساجد، ولبيان المقابلة بين حالهم وحال المعاندين الذين قال الله فيهم في الآية قبل وصفهم: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ، قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ؟ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا** ﴾[4].

---

[1] – سورة المزمل، الآية 6.

[2] – سورة الذاريات، الآيات 15 – 18.

[3] – سورة الإسراء، الآيتان 78 – 79.

[4] – سورة الفرقان، الآية 60.

فعباد الرحمن نهارهم في خشوع، وليلهم في خضوع وتذلل لباريهم عزَّ وجلّ.

***الخوف من سوء المآل والمصير: (خصلة الذكر)، قال تعالى:﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.**

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ في توسل العبد بمولاه، وخوفه من عقابه، عندما يعيش قلق المصير أمام خطاياه، فيبتهل إلى الله ليغفر له ذلك ويوفّقه للاستقامة، ليصرف العذاب عنه من موقع المغفرة، والطاعة.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ وهو المصيبة التي تصيب الإنسان، والنائبة التي تنوبه وتلازمه في حياته، ويمثل عذاب جهنم الخلود فيها.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.وأيّ مكان أسوأ من المكان الذي يعيش فيه الإنسان العذاب من جميع جهاته، وأيّ استقرار هو هذا الاستقرار الذي يهتز الإنسان فيه أمام لهيب النار؟

وهذه هي الشعبة الثالثة والعشرون من شعب الإيمان، وهي" **الخوف والرجاء**"، وتندرج ضمن خصلة الذكر [1]، والمؤمن يعيش بين الخوف والرجاء، فعباد الرحمن على الرغم من صلاتهم وقيامهم بالليل، يلجئون إلى ربهم العلي القدير ، أن يجنبهم سوء العاقبة، فلا يحتفلون بأعمالهم، ويخشون ردها عليهم، ويتهمون أنفسهم بعدم القيام بها على الوجه الأكمل، من صدق النية ، والتوجه والإخلاص فيها، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾[2]. قالت عائشة رضي الله عنها: **(يا رسول الله، أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر وهو يخاف الله عزَّ وجلّ؟ فقال لها: "لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو مع ذلك يخاف الله عزَّ وجلّ**)[3]. وفي وصف العذاب بالغرام، إشارة إلى كونه مضرة خالصة عن شوائب النفع، وهو الشأن في عذاب الكافر. وفي وصف جهنم بأنها المقر السيِّئ والمقام البئيس، لبيان أنها مصير العصاة من المؤمنين والعتاة من الكافرين.

---

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 162.

[2] – سورة المؤمنون، الآيتان 60 – 61.

[3] – رواه الترمذي في كتاب التفسير: 5/ 9.

***عدم الإسراف والتقتير في الإنفاق ، بالزهد والتقلل:(خصلة الاقتصاد). قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.**

﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا**﴾ فلم يخرجوا عن الحد الطبيعي في الإنفاق.

﴿**وَلَمْ يَقْتُرُوا**﴾ في حالة بخل غير طبيعية.

﴿**وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا** ﴾.وهو الحد الوسط الذي يمثل خط التوازن بين الزيادة المفرطة والتقليل المفرط، بحيث يعيش الوضع الطبيعي في مصرفه على صعيد الحاجة العادية ، في مثل ظروفه وموقعه ، في دائرة الضروريات والكماليات.

وهذه هي الشعبة السبعون من شعب الإيمان، والتي هي " **الزهد والتقلل**"، وتندرج ضمن خصلة الاقتصاد[1].

إن الإسلام دين العدل والوسطية في جميع شؤون الحياة، والمسلم يلتزم الخلق الوسط، فكلا طرفي الأخلاق ذميم، وهو التوجيه الرباني لرسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى :﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴾[2]، وإذا علمنا أن ذاك التوجيه

---

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 322.

[2] – سورة الإسراء، الآية 29.

جاء بعد النهي عن منع الحقوق الواجبة، علمنا أن الاعتدال في الإنفاق يكون في الأمور الخاصة بالاستمتاع والشهوة. ولا يسمى الإنفاق في الخير سرفاً، فلا سرف في الخير، وقد جاء ذلك بعد قوله تعالى: ﴿ **وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾[1]، قال عمر رضي الله عنه: (**كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله**)[2]. قيل لأحدهم: ما البناء الذي لا سرف فيه؟ قال: ما سترك عن الشمس ، وأكنك من المطر، فقيل: فما الطعام الذي لا سرف فيه؟ قال: ما سد الجوعة، فقيل له: في اللباس، قال: ما ستر عورتك ووقاك من البرد. والتمتع بنعم الله الحلال، دون إسراف لا ينافي هذه الشعبة، فقد قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾[3]، وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : (**كُلُوا**

[1] - سورة الإسراء، الآيتان 26 - 27.

[2] - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: 2/ 71.

[3] - سورة الأعراف، الآيتان 31- 32.

وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ، وَلاَ سَرَفٍ حَتَّى تُرَى نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى نِعْمَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ)[1].

* الإيمان بالله وبغيبه. والبعد عن الشرك: (خصلة الصدق)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾.

﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ﴾.فلا يؤمنون بإله آخر مع الله ، ولا يشركون به أحداً، ولا يقدّمون فروض العبادة لغيره في جانب الشرك في العبادة، ولا يرفعون أكفّهم بالدعاء إلاّ له، ليقضي لهم حاجاتهم، وييسِّر أمورهم، ويخفّف آلامهم، فهو وحده الإله الذي يُعبد، وهو وحده الإله الذي يُدعى في قضاء الحاجات، وحلّ المشكلات.

وهذه هي الشعبة الخامسة والعشرون من شعب الإيمان، والتي هي"**الإيمان بالله وبغيبه**"، وتندرج ضمن خصلة الصدق[2]، وقد يستغرب المتدبر للآيات الكريمة المشتملة على صفات عباد الرحمن ، ونفي الشرك عنهم ، ونفي القتل، ونزاهتهم عن الزنا، وذلك بعد ذكر تحليهم لتلك الخصال العظيمة،

---

[1] – الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة (186 – 282) نور الدين الهيثمي (807)، (2/ 607) ح571. تحقيق : د. حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية،المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1413 – 1992.

[2] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 174.

من التواضع والحلم، وقيام الليل، والوجل من الله، والعدالة في الإنفاق، فما الحكمة في ذكر هذه القبائح العظيمة في هذا السياق؟.

إنه التعريض بما كان عليه أعداؤهم من الكفار، فكأنه قيل لهم: والذين طهرهم الله تعالى وبرأهم مما أنتم عليه معشر الكفار من الإشراك، وقتل النفس المحرمة كالموءودة والزنا. وسواء أدركنا الحكمة من ذكر هذه الخصال الذميمة في السياق أو لم ندرك، فإن التذكير بالابتعاد عنها من الأمور الهامة جداً. فإن الإشراك بالله من أكبر الكبائر، كما نص عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَي الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ. قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِىَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**) وَفِى رِوَايَةِ الذُّهْلِيِّ : (**أَنْ تَزْنِىَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**)[1]. لذا جاءت النصوص الصريحة الواضحة، أن الذنوب كلها تحت مشيئة الله تعالى وإن لم يتب منها المذنب، إن شاء غفرها وتجاوز عنها، وإن شاء عاقب عليها، إلا الشرك، فلا تجاوز عن المشرك، يقول عزَّ من قائل:﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾[2].

---

[1] – رواه البخاري، كتاب الديات: 8/ 34؛ ومسلم، باب كون الشرك أقبح الذنوب: 1/ 63؛ والترمذي، كتاب التفسير: 5/ 17.

[2] – سورة النساء، الآية 116.

*** حقن الدماء :(خصلة التؤدة).قال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.**

﴿وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِ ي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ . الذي قرره الله في الشريعة، ما يوحي بأن الأصل في الإسلام هو احترام النفس وعدم جواز إزهاقها إلاّ في الحالات التي وردت الرخصة فيها في الكتاب والسنة، بحيث تكون إباحة الدم استثناءً على القاعدة.

وهذه هي الشعبة الثالثة والستون من شعب الإيمان، والتي هي " **حقن الدماء والعفو عن المسلمين**" ، وتتدرج ضمن خصلة التؤدة [1]، إذ حرم الإسلام قتل النفس المعصومة إلا في حالات تستحق النفس فيها القتل، لأنها ارتكبت من الجرائر ما أزال عصمتها، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الحالات التي تهدر فيها النفس فتستحق القتل، بقوله: **(لا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إلا بِإِحْدَى ثَلاثٍ: رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِهِ، أَوْ زَنَا بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ)**[2]. والملاحظ أن هذه الصفات

---

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 285.

[2] – البيهقي، السنن الكبرى للبيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ،(8/ 18) ح 16261، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الطبعة الأولى . 1344 هـ.

الثلاث المذكورة في الآية والتي هي: الشرك، والقتل، والزنا، كلها صور للقتل، فالشرك قتل للنفس بتخليدها في النار، وإذا ارتد المسلم فأشرك استحق القتل حداً، وقتل الغير قتل جلي. والنوع الثالث من القتل هو القتل الخفي بتضييع نسب الولد بالزنا.

*آداب المعاشرة، والتنزه عن الزنا: (خصلة السمت الحسن)، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾.

﴿وَلاَ يَزْنُونَ﴾. فالزنى هو مسألة انحرافٍ عمليٍّ وخلقيٍّ عن خط الاستقامة الذي حدده الله للإنسان في العلاقات الجنسية القائمة على مبدأ الزوجية بين الرجل والمرأة، وفق ما أراده الله من التوازن في النظام الاجتماعي، من هنا كان الزنى تجاوزاً لحدود الله، وتمرّداً على شريعته.

وهذه هي الشعبة الثامنة والخمسون من شعب الإيمان، والتي هي " **آداب المعاشرة**"، وتندرج ضمن خصلة **السمت الحسن** [1]، وفي هذه الشعبة نلاحظ أن الإسلام نظّم الغرائز لدى الفرد، فلم يطلق العنان لإشباعها، كما لم يحاربها ويكبتها، لأن لها دوراً وظيفياً ينبغي أن تؤديه، وعلى رأس هذه الغرائز غريزة الجنس وحب البقاء.

ويهدف الإسلام بذلك إلى تربية مجتمع متماسك سليم من الآفات الاجتماعية، نظيفاً من اختلاط الأنساب ، متماسك اللبنات، لهذا شرع

---

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 257.

شرائعه لحماية الكليات الخمس والتي هي : الدين، والعقل، والعرض، والنفس، والمال. فأقام صرح المجتمع الإسلامي على اللبنة الأولى التي هي الأسرة. ووضع لها من التشريعات ولأفرادها من الحقوق والواجبات ما يجعلها نقية صافية من الشوائب، ووضع سياجاً من التشريعات للحفاظ على قدسية العلاقة الزوجية ، وسمى عقد الزوجية ميثاقاً غليظاً ، قال تعالى:﴿ **وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾[1]. لذا سنَّ العقوبات الشديدة على من يحاول التعرض للحياة الزوجية بسوء، فمن قال فيها مقالة سوء باتهام غيره بالزن ا طالبه الإسلام بإحضار أربعة شهود على ما قال، وإلا فضرب بالسياط على ظهره، ووعيد بالعذاب الأخروي على جنايته ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[2]. ومن تجنى بتجاوز الحد والوقوع في الفاحشة، فإن كان بكراً جلد م ائة جلدة، وإن كان محصناً فرجمه بالحجارة إلى الموت. يقول عزَّ من قائل: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى**

---

[1] – سورة النساء، الآية 21.

[2] – سورة النور، الآية 4.

الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. وحسب نظرة الإسلام الواقعية لشؤون الحياة ، وحل المشكلات الإنسانية على ضوء المصلحة العليا للمجتمع، سن الإسلام موضوع الملاعنة بين الزوجين حيث يتهم الزوج زوجه بالفاحشة ، ونظراً لولوجه وخروجه في كل وقت، وليس من الممكن إحضار الشهود في مثل هذه الأحوال، لم يأمره الإسلام أن يسكت على التي خانته في أعزِّ ما يملك في عرضه وشرفه، فأجاز أن يشهد أربع شهادات بالله أنه رآها في حالة الفاحشة وإنه صادق فيما يقول، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً في دعواه. كما أن العدل الرباني لم يَحرم المرأة من الدفاع عن عرضها وشرفها، وربما كان الزوج مفترياً عليها يريد الوقيعة بها، فأتاح لها الفرصة أن تبرز براءتها من خلال أربع شهادات بالله إنه كاذب في دعواه، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان صادقاً. وبما أنَّ العلاقة الزوجية مبنية على المودة والرحمة والثقة المتبادلة بين الزوجين، لتكون سكناً له ويكون لها راعياً مؤتمناً، وقد انثلم كل ذلك بهذه الاتهامات والملاعنات، فكانت الخطوة المنطقية التفريق بينهما فرقة بائنة لا لقاء بعدها بينهما.

يقول تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ**

---

[1] – سورة النور، الآية 2.

شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[1].

إن جريمة الزنا جريمة مدمرة، وما فشا هذا الوباء في مجتمع إلا وتفشت فيه أوبئة مادية وخلقية أخرى، فكان مصير المجتمع الدمار والهلاك.

وفي هذه المحرمات الثلاثة،(الشرك، والقتل، والزنى)، مؤكدات بيانية سبعة تبين عظم هذه الذنوب ، وضخامة آثام ها حيث جاءت في هذه الآيات الكريمة أساليب بلاغية تبرز هذا الجانب منها:

* الاعتراض بين المبتدأ ﴿**وعباد الرحمن**﴾ وما عطف عليه، وبين الخبر الذي هو ﴿ **أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا...** ﴾[2]. على رأي بعض العلماء، بذكر جزاء هذه الأشياء الثلاثة خاصة، فدل على مزيد اهتمام بشأنها.

* الإشارة بأداة البعد في قوله تعالى:﴿ **وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ** ﴾[3]. مع قرب المذكورات، فدل على أن البعد في رتبتها.

* التعبير باللقي مع المصدر المزيد الدال على زيادة المعنى في قوله ﴿**يَلْقَ أَثَامًا** ﴾، فهو أبلغ من: يأثم، أو يلق إثماً، أو جزاء إثمه.

---

[1] – سورة النور، الآيات 6 – 9.

[2] – سورة الفرقان، الآية 75.

[3] – سورة الفرقان، الآية 68.

* التقييد بالمضاعفة في قوله:﴿ **يُضَاعَفْ** ﴾، ومضاعفة العذاب ، قد يقصد به إتيان بعض العذاب في إثر بعض بلا انقطاع ، كما كان يضاعف سيئته كذلك.

* التهويل بقوله: ﴿ **يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ والذي هو أهول من غيره بما لا يقاس.

* الإخبار بالخلود الذي أول درجاته أن يكون مكثاً طويلاً.

* التصريح بقوله: ﴿ **مُهَانًا** ﴾ إشارة إلى أن العذاب مضرة خالصة مقرونة بالإذلال والإهانة، وذلك ليجتمع على الجاني العذاب الجسماني والروحاني. احترازاً عما يظن أن بعض عصاة هذه الأمة الذين يريد الله تعذيبهم يعلمون أنهم ينجون ويدخلون الجنة فتكون إقامتهم مع العلم بالمآل ليست على وجه الإهانة. هذه سبع مؤكدات تبين خطورة هذه المعاصي الثلاث. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو جابر أنه سمع مكحولاً يحدث قال: **(جاء شيخ كبير هرم قد سقط حاجباه على عينيه، فقال: يا رسول الله رجل غدر وفجر، ولم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطفها بيمينه، لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم فهل له من توبة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أأسلمت"، فقال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فإن الله غافر لك غدراتك وفجراتك، ومبدّل سيئاتك حسنات ما كنت كذلك"،**

فقال: يا رسول الله وغدراتي وفجراتي؟ فقال: "وغدراتك وفجراتك"، فولى الرجل يكبر ويهلل). وروى قريباً منه الطبراني عن أبي فروة[1].

وذهب جمهور المفسرين إلى أنه لا تعارض بين آية الفرقان وهي مكية، وبين آية النساء في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[2]. فإن آية سورة النساء مطلقة، فتحمل على من لم يتب، أما آية سورة الفرقان فإنها مقيدة بالتوبة. روى الشيخان عن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: **(كَانَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ، قَالَ: لاَ، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَمَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَتَى نِصْفَ الطَّرِيقِ أَتَاهُ الْمَوْتُ ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ ، فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي**

---

[1] - الطبراني في معجمه الكبير ج7/ص314 ح7235.

[2] - سورة النساء، الآية 93.

صُورَةِ آدَمِ ي، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ، فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ)، وفي رواية **(فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي، وإلى هذه أن تقرّبي ، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له)**[1].

* التوبة: (خصلة الذكر). قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾.

﴿**وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَاماً** ﴾ وهو نتيجة الخطيئة، وهو الجزاء بالعذاب الذي يلقاه يوم القيامة، وربما يراد به غضب الله الذي يستلزم الخطيئة، إذ توحي الكلمة بمعنى الحرام الملازم لسخط الله، وقد يكون هذا أقرب، باعتبار أن المعنى الأول مذكور في الآية التالية:

﴿**يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً** ﴾ بما يمثله العذاب من إهانةٍ واحتقار. وقد نلاحظ في الآية التأكيد على الخلود في النار

---

[1] – أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل: 4/ 143 مختصراً؛ ومسلم، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله: 8/ 103.

للمشرك والزاني والقاتل للنفس المحرمة، مما قد يتنافى مع الآية الكريمة ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾[1]. التي تدل على اختصاص الخلود في النار بالمشرك، وأما غيره فإن المغفرة تلحقه في نهاية الأمر ، بالإضافة إلى ما اشتهر بين العلماء، بأن المسلم لا يخلّد في النار حتى لو كان زانياً أو قاتلاً. وقد أجاب عنه بعض المفسرين بأنه محمول على اقتضاء طبع المعصية، لذلك، فالقاتل والزاني يستحقان الخلود في النار، باعتبار أن الزنى وقتل النفس المحترمة من الكبائر ولكن المغفرة تلحقهما، أو يحمل الخلود على المكث الطويل الذي هو أعم من المؤبد أو المنقطع أو على غير ذلك.

﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً** ﴾ يؤدي به إلى تبديل الموقف على مستوى الحالة الروحية، والممارسة العملية.

﴿**فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ لأنهم بدّلوا السلوك المنحرف، بالسلوك المستقيم، وانتقلوا إلى رضوان الله بالانتقال إلى طاعته. وبذلك يظهر أن التبديل لا يعني أن السيئة تكون بمنزلة الحسنة، بل المقصود . والله العالم . أن الله يمحو أثر السيئة السابقة ويعطيه بعمله الصالح، الحسنة، وهي المغفرة التي لا يبقى معها شيء من نتائج المعصية.

---

[1] - سورة النساء، الآية 48.

﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ فلا يغلق باب رحمته عن عباده، ولا يحجب مغفرته عن التائبين منهم والعاملين في سبيل رضاه، بل يتلقاهم برحمته ومغفرته ورضوانه بكل محبة وعطف ورضوان.

﴿**وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتاباً** ﴾ إذ التائب عن الذنب بإعلانه عن الندم الذي يوحي بالعزم على التراجع، وبالعمل الصالح الذي يوحي بتبديل الموقف في اتجاه آخر، يجسد الرجوع إلى الله في عمليةٍ تصحيحيةٍ واعيةٍ على أكثر من صعيد، فلا غرابة في أن يتقبله الله ويبدّل سيئاته حسنات.

والتوبة والاستغفار هي الشعبة الثانية والعشرون من شعب الإيمان، وتندرج ضمن خصلة الذكر[1]، ومن لطف الله بعباده أن فتح لهم طريق الرجوع إلى باريهم، ولم ييئسهم من رحمته مهما عظم الذنب واستمر فيه العاصي، وتوغل في المفاسد، وفي التمرد على خالقه ورازقه. (**اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ، فَأَضَلَّهَا، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهَا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي فَأَمُوتُ فِيهِ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي أَضَلَّهَا فِيهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ غَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، فَاسْتَيْقَظَ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا زَادُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ،**

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 161.

فَاللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ)[1]. قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة: التبديل في الدنيا، فيبدلهم بالشرك إيماناً ، وبقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنى عفة وإحصاناً، فهي بشارة من الله تعالى لهم بأنه يوفقهم لهذه الأعمال الصالحة فيستوجبوا ثوابها.

والحكمة في تكرار قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا** ﴾[2]. أن هذا القول الثاني عمم بعد التخصيص، فالاستثناء جاء في التوبة عن الشرك والقتل والزنا، أما هذا فلبيان حال من تاب من جميع المعاصي.

* تجنب الكذب والترفع عن حضور مجالس الزور واللغو: (خصلة الصدق).قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ *وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

---

[1] – الدارمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، (2/ 384) ح 618. تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية، 1414 – 1993، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين، «صحيح سنن الترمذي» (2628).

[2] – سورة الفرقان، الآية 71.

﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ** ﴾. وهو الباطل الذي قد يتمثل بصورة الحق، وربما كان الظاهر منه شهادة الزور ، وهو الكذب في مقام الشهادة، مما يريد أن يوحي به الشاهد بأنه صدق؛ وقد يراد منه اللهو الباطل كالغناء الماجن ونحوه، مما جاءت به بعض الأحاديث المأثورة.

﴿**وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً**﴾ والمراد بالمرور باللغو، المرور بالذين يمارسون اللغو، ويشتغلون به، فلا يتوقفون عندهم ليستمعوا إليهم، أو ليخوضوا معهم فيه، بل يعرضون عنه ويتابعون طريقهم إلى ما يريدون تنزهاً عن ذلك، لأن الإنسان المؤمن لا يفكر في الحياة إلا من موقع الحصول على الفائدة في الدنيا والآخرة، فلا يتوقف ولا يستغرق في ما لا فائدة فيه ولا منفعة لنفسه وللآخرين.

وهذه هي الشعبة الثامنة والعشرون من شعب الإيمان، وهي شعبة "**الصدق**"، وتندرج ضمن خصلة **الصدق**[1]، وهو ضد الكذب، وشهادة الزور من أكبر أنواع الكذب، فأثر هذه الجريمة مضاعف، لأن الأصل في الشهادة أن تكون عوناً لإبراز الحق وإيصاله إلى صاحبه، فإذا حرّف الشهادة ومال بها عن حقيقتها يكون قد عطل الشهادة عن أداء دورها، والثانية يكون قد ساهم في إلحاق الظلم بآخرين ، وتمكين أهل الباطل من تحقيق مآربهم. لذلك قرن الزور بالشرك في أكثر من نص في القرآن الكريم، وفي السنّة النبوية ، كما في قوله تعالى: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ**

[1] - عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 177.

الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾[1]. وروى أبو داود وابن ماجه عن خريم بن فاتك، قال: صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح، فلما انصرف – أي من صلاته – قام قائماً فقال: "عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله" ثلاث مرات، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ** ﴾[2]. وفي حديث رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة أضاف إلى الإثمين العظيمين إثماً ثالثاً وهو عقوق الوالدين – حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت)**[3]. أما الشعبة الموالية لهذه الشعبة، فهي الشعبة الثامنة والخمسون من شعب الإيمان، والتي هي "**آداب المعاشرة**"، وتندرج ضمن خصلة السمت الحسن[4]. ولئن كان الذهن ينصرف أول ما يسمع الزور إلى شهادة الزور، فإن إطلاق الزور في الآيات الكريمة تعم كل أصنافه، ولذلك قال بعض المفسِّرين: الزور يعم

---

[1] – سورة الحج، الآية 30.

[2] – سورة الحج، الآيتان 30 – 31. سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب في شهادة الزور: 5/ 217؛ وسنن ابن ماجه كتاب الأحكام، باب شهادة الزور: 2/ 794.

[3] – صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور: 3/ 152؛ وصحيح مسلم، باب الكبائر وأكبرها: 1/ 64.

[4] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 257.

كل باطل عن جهة الحق. فكأن الآية الكريمة نصت في وصف عباد الرحمن أنهم لا يشهدون مجالس الباطل، ولعلَّ ذكر مرورهم كراماً على اللغو يؤيد هذا التعميم، فإن المؤمن يكرم نفسه عن مجالس اللهو والباطل، وينزهها عن مشاركة السفهاء في لغوهم، يقول عزَّ من قائل:

﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾[1]. ولربما فوجئ المرء بمجلس انقلب أهله إلى الخوض في الباطل، أو تناول قضايا إسلامية بالاستهزاء والتطاول، أو الاستهتار بأحكام الشرع، أو النيل من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الحط من أقدار صحابته الكرام رضي الله عنهم، أو اتهام دعاة الإسلام بالقدح والتجريح ، فكلّ ذلك ينبغي الإعراض عنه، ومغادرة المجلس ومقاطعته إن لم يستطع تغيير مجرى الحديث، يقول جلَّ جلاله: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[2]. إن المؤمن يرى في الوقت رأس ماله الذي إذا فات لا يعوض، فالوقت هو الحياة، لهذا يضنّ به أن يقضيه فيما لا فائدة فيه ، ومجالس اللغو أقل ما يقال فيها: إنها للثرثرة والعبث وضياع الوقت

---

[1] – سورة القصص، الآية 55.

[2] – سورة الأنعام، الآية 68.

والغفلة، لذا كان من شأن المؤمنين عباد الرحمن ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا** ﴾[1]، مترفعين عنها.

* قبول النصيحة:(خصلة الصدق)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

﴿**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ**﴾ التي أنزلها الله على رسله مما يفتح قلوبهم على الله وعلى طاعته، وعلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم من حكمةٍ أو موعظةٍ حسنة، من قرآن أو وحي سابق منزل؛ فإذا دعاهم الناس إلى شيء من ذلك ليسمعوه، وليفكروا فيه، وليعملوا به، أصغوا إليها بمسامع قلوبهم، وفتحوا لها كل عقولهم، ولم يعرضوا كما يعرض الكافرون.

﴿**لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً** ﴾ كما يفعل الذين لا يسمعون إذا قرئ القرآن عليهم، أو الذين لا يبصرون إذا قدّم إليهم القرآن ليقرؤوه. وهكذا يتحرك المؤمن في مصادر المعرفة ليوجّه إليها كل عقله وشعوره ليبني شخصيته . من خلالها . على أساس العلم والإيمان، وليهتدي بها إلى مواقع الهدى، لأن المعرفة عنده مسؤوليةٌ وليست مجرد حالةٍ طارئة في حركة الحياة من حوله.

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 72.

وهذه هي الشعبة التاسعة والعشرون من شعب الإيمان والتي هي "**النصيحة**"، وتندرج ضمن خصلة **الصدق**[1].

إن من صفات المؤمنين – عباد الرحمن – أخذ العظة والعبرة من كلِّ شيء، وعلى رأس ما يتعظ به آيات الله المنزلة على رسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا سمع آيات الذكر الحكيم تتلى، أو كان على وضع فيه عليه ملحظ، فذكّره أحد الناصحين بآيات من كلام الله، لم يردّها عليه، بل يعيها ويفهم معناها، متدبراً لما تهدي إليه، مقارناً حاله على ضوء هداية الآية بما ينبغي أن يكون الحال عليه، ثم عدّل من سلوكه وفعله وقوله. ولم تأخذه العزة بالإثم فيركب رأسه ويرد على ناصحه بما لا يليق. فكم من مخطئ أو متساهل في زماننا عندما يقال له: يا فلان اتق الله، يرد عليه ويقول: بل أنت اتق الله، فأنا على الصواب. قبل أن يتدبر عمله ويفكر في كلمة (اتق الله) التي خاطب الله جلّ جلاله بها رسولَه صلى الله عليه وسلم المعصوم، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ** ﴾[2]. كما أن آيات ربهم تشمل الآيات الكونية، التي يستدل من خلال مراقبتها ودراسة أوضاعها وهيئاتها على النظام التام الذي يسود أجزاءه ومجراته وأفلاكه ونجومه وكواكبه. ويستدل من خلال ذلك على

---

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص 178، دار الآفاق الطبعة الرابعة 1422 – 2001.

[2] – سورة الأحزاب، الآية 1.

الخالق الذي أبدع هذا الكون، وأنه الواحد الذي يتولى شؤونه: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾[1].

إن الكافر كالبهيمة، تعلف ما يقدم لها من غير بحث عن المصدر الذي زودها به، ومن غير تدبر للمنعم الذي هيأ له أسباب الرزق ومكنه منه، ولا يلتفت إلى ما حوله إلا بما يتعلق بشهوتي البطن والفرج ، فهو أصم أعمى عن هدايات تلك الآيات ، ما كان منها وحياً وما كان آية مرئية أو مسموعة مما يحيط به من حوله. قال تعالى: ﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا** ﴾[2]. إن شأن المؤمن شأن أنبياء الله ورسله الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ **وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** ﴾[3].

*** الابتهال إلى الله تعالى وطلب الزوجة والذرية الصالحة، والتشوف إلى المقامات العليا :(خصلة الذكر)، ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.**

---

[1] – سورة الأنبياء، الآية 22.

[2] – سورة الفرقان، الآية 44.

[3] – سورة مريم، الآية 58.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ **قُرَّةَ أَعْيُنٍ:** كناية عن السرور والفرح، وهو مأخوذ من القرر، وهو البرد، لأن دمعة السرور باردة [1]. قال الزجاج: يقال: أقرّ اللَّه عينك: صادف فؤادك ما يحبه[2]. قال القرظي : ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله – عز وجل – . وقاله الحسن، ووحد القرة لأنها مصدر، وأصلها من البرد، لأن العرب تتأذى من الحر وتستروح إلى البرد، وتذكر قرة العين عند السرور، وسخنة العين عند الحزن، ويقال: دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار. وقال الأزهري : معنى قرة الأعين: أن يصادف قلبه من يرضاه ، فتقر عينه به عن النظر إلى غيره.

بحيث يعيش الإنسان الشعور بالسرور ، عندما ينظر إلى زوجه وأبنائه وهم يؤمنون بالله، ويتحركون في خط طاعته ورضاه ، على أساس الالتزام بالحق في كلّ أقوالهم وأفعالهم، لأن الإنسان المؤمن لا يفكر في القضايا بطريقةٍ ذاتيةٍ، من خلال العلاقات الخاصة في الحياة بزوجه وولده، بل يفكر بطريقةٍ إيمانية مسؤولة. وهذا هو ما يخصص التمنيات بالجانب

---

[1] – الماوردي، تفسير الماوردي (النكت والعيون)، 4/ 161، وتذكرة الحفاظ، 3/ 293.

[2] – تفسير البغوي، 5/ 227، والألوسي، 5/ 152، ولم ينسباه للزجاج، وقد نسبه للزجاج كثير من المفسرين مثل: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري، 10/ 203، والرازي في مفاتيح الغيب، 24/ 100، وابن عادل الحنبلي في اللباب، 14/ 576، والشوكاني في فتح القدير، ص 1230.

الإسلامي من شخصية الأزواج والأولاد ، بالإضافة إلى ما يحبه الإنسان من جوانب أخرى.

هذه هي الشعبة التاسعة عشرة من شعب الإيمان، والتي هي" **الدعاء وآدابه**"، وتندرج ضمن خصلة الذكر[1].

من أصول العبادة، الابتهال إلى الله تعالى بالدعاء، والالتجاء إليه في كل شيء، فالدعاء مخ العبادة، ولئن كان الدعاء مرغوباً فيه في شؤون الحياة الدنيا ما قل منه وما كثر، فإن الدعاء لأمور الآخرة أهم وأعظم، ولئن كانت القضايا التي تجمع بين زينة الحياة الدنيا وبين أجر الآخرة تكون في مقام رفيع لدى الإنسان، فإن على رأس كل ذلك الذرية الصالحة، فبها تقر الأعين في الحياة الدنيا ، وهي استمرار لعمل المرء بعد مماته وانقطاع عمله. ففي الذرية الصالحة حياة مديدة للآباء والأمهات، وعمل صالح مستمر، كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)**[2]. فكيف إذا رزق الإنسان بولد صالح، لذا كان من دعوة

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، ص 159، دار الآفاق الطبعة الرابعة 1422 – 2001.

[2] – أخرجه أحمد (372/2 ، رقم 8831) ، والبخاري في الأدب المفرد (28/1، رقم 38)، ومسلم باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته: (1255/3 ، رقم 1631)، وأبو داود (117/3، رقم 2880)، والترمذي (660/3، رقم 1376) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (88/1، رقم 242). وأخرجه أيضًا : النسائي (251/6 ، رقم 3651) .

الأنبياء عليهم السلام أن لا يذرهم فرادى من غير ذرية ترثهم في علومهم وآدابهم. فلا شك أن تكون دعوة عباد الرحمن كذلك منصبة على هذه الوراثة الربانية ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾[1].

والملاحظ أن في نهاية الحديث عن صفات عباد الرحمن، أنهم لا يكتفون بهذه المناقب الحميدة التي وهبهم الله إياها، وتكون لهم مجموعا من شعب الإيمان، وإنما هم يتضرعون إليه – سبحانه – أن يجعل منهم الذرية الصالحة، وأن يرزقهم الزوجات الصالحات. فيقولون في دعائهم وتضرعهم يا (**رَبَّنَا هَبْ لَنَا**) بفضلك وجودك ما يجعل عيوننا تسر بهم، ونفوسنا تنشرح برؤيتهم، وقلوبنا تسكن وتطمئن لوجودهم، لأنهم أتقياء صالحون مهتدون.

الكثير من المسلمين من يردد هذا الدعاء. و الكثير منهم من يؤمّن عليه بتأثر ورغبة. لكن كم مِن هؤلاء حققه وتمثله في نفسه وبيته واقعا حيا؟!

إن حقيقة هذا الدعاء قول باللسان، وتضرع إلى الرحمن، وتصديق بالحال والأفعال. فكم من بيت صالح عمّ صلاحه من حوله، فأصبح مشعلا للخير والدعوة، ومثالا ونموذجا وقدوة، تزدان مجالسه بالآداب الفاضلة ومكارم الأخلاق والكلمة الطيبة . اتصف أهله بصفات عباد الرحمن فاستجاب لهم ربهم دعوتهم، مصداقا لقوله تعالى من سورة آل عمران:

---

[1] – سورة الفرقان، الآية 74.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[1]، وكم من بيت تمنى أهله الأماني، ولكن قعدت بهم هممهم عن سلوك سبيل التقوى والإمامة ! فبقيت أسرهم عرضة للمشاكل، وأبناؤهم عرضة للانحلال، وأصبحوا ضحية المجتمع المفتون، يتأثرون ولا يؤثرون، ويتفاعلون ولا يفعلون.

هذه هي الدعوة الثانية من دعوات عباد الرحمن الذين جمعوا الخصال والفعال الحميدة مما سبق ذكرها وتفصيلها ، ومن جميل الكلمات الحسان من الدعوات، فهم يلحّون بهذا السؤال، كما أفاد الفعل المضارع (**يقولون**) أن يرزقهم الله تعالى من يخرج من أصلابهم ومن ذرياتهم من يطيعه، ويعبده وحده لا شريك له . وهذا الدعاء لأزواجهم وذريتهم في صلاحهم؛ فإنه دعاء لأنفسهم؛ لأن نفعه يعود عليهم، ويدوم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾**[2]. بل يعود هذا النفع إلى عموم المسلمين؛ لأن بصلاح من ذُكر يكون سبباً لصلاح كثير ممن يتعلق بهم، وينتفع بهم[3]. وهذا هو الشعور الفطري الإيماني العميق، شعور الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله عز وجل، وفي أولهم الذرية والأزواج، فهم أقرب الناس تبعة، وهم أول أمانة يُسأل عنها الرجال . إنهم

---

[1] - سورة آل عمران، الآية 195.

[2] – سورة الطور، الآية: 21.

[3] – تفسير ابن سعدي، ص 688.

– كما يقول عكرمة – لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً ، وإنما أرادوا أن يكونوا مطيعين، ولا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولداً أو أخاً أو حميماً مطيعاً لله.

﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾. في ما يحبه المؤمن لنفسه من التقدم في مجالات الخير، والدعوة إلى الله والعمل في سبيله، والالتزام بالخط المستقيم في العقيدة والشريعة والحياة، بحيث يبلغ الدرجة العليا في ذلك، حيث الإمامة والقيادة. وذلك هو طموح المؤمنين في الحياة، في عملية التسامي في آفاق التقوى في ما يجاهدون به أنفسهم، ويطوِّرون به معارفهم، فلا تتوقف طموحاتهم على شؤونهم الذاتية في الحاجات الدنيوية الطبيعية، بل تنطلق إلى مواقع رضوان الله، انطلاقاً مما دعا الله إليه عباده المؤمنين من استباق الخيرات، والمسارعة إلى المغفرة والجنة والتنافس في درجات الحصول على رضاه.

جاء في المعجم الوسيط: "الإمام ، من يأتم به الناس من رئيس أو غيره، ومنه إمام الصلاة" [1]، وجاء في المصباح المنير: "والإِمَامُ: الخليفة، والإِمَامُ: العالم المقتدى به، والإِمَامُ: من يؤتم به في الصلاة"[2].

---

[1]– المعجم الوسيط، 27/1.

[2] – المصباح المنير 23/1.

ربما يظن ظان أن الإمامة في الدين بعيدة المنال، وأنها تختص بأناس دون آخرين، وتتطلب العلم الغزير، مع أن بعض الناس قد يبلغ بصدق نيته وحسن خلقه من التأثير في الناس ما لا يبلغه من يفوقونه علما وفقها! بل إن طفلا صغيرا نشأ في بيت صالح مصلح ليؤثر بأدبه وحسن سمته تأثيرا قد لا يبلغه كثير من الرجال؛ ببركة التقوى وحسن التربية والتعاهد. فمن منا لا يتمنى هذا الشرف العظيم، قال البخاري – رحمه الله – في قوله تعالى: ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾: "أئمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا". وقال الحسن البصري – رحمه الله –: "من استطاع منكم أن يكون إماماً لأهله، إماما لحيه، إماماً لمن وراء ذلك، فإنه ليس شيء يؤخذ عنك إلا كان لك منه نصيب".

وينبغي أن يُعلم أن هذا الدعاء هو مما كان السلف يدعون به: قال ابن عبد البر – رحمه الله –: "وأما قول ابن عمر – رضي الله عنه ما –: "اللهم اجعلني من أئمة المتقين" ، فهو عندي مأخوذ من قول الله – عز وجل –: ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴾، وفي هذا الأسوة الحسنة أن تكون همة المؤمن تدعوه إلى أن يكون إماماً في الخير، وإذا كان إماماً في الخير كان له أجره وأجر من عمل بما علمه، وائتم به فيما علمه، وأجزاه عنه"[1]، فلا يكفي كون الإمام يقتدي به الناس بدون طلب منه، بل لابد أن يكون صاحب همة عالية يسأل ربه أن ييسر له اقتداء الناس به في الخير

[1] - الاستذكار 542/2.

والمعروف، كما يسر له اقتداء الناس به في الصلاة، وهذا هو معنى الآية، قال ابن كثير – رحمه الله–: "وقوله تعالى: ﴿ **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ قال ابن عباس والحسن والسدي وقتادة والربيع بن أنس: أئمة يقتدى بنا في الخير، وقال غيرهم: هداة مهتدين، دعاة إلى الخير؛ فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم، وأن يكون هداهم متعدياً إلى غيرهم بالنفع، وذلك أكثر ثواباً، وأحسن مآباً [1]. لذا كان دعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لربه ﴿ **وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآَخِرِينَ**﴾[2].

وكما يوجد أئمة في الهدى فإنه يوجد أئمة في الضلال قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ** ﴾[3]، قال ابن تيمية – رحمه الله – في كتابه الحسنة والسيئة: " فاجعلنا أئمةً لمن يقتدي بنا ويأتم، ولا تجعلنا فتنةً لمن يضل بنا ويشقى"[4]، وليس فقط يُقتدى بنا بل نقتدي بمن سبقنا في الهدى، ويقتدي بنا الناس، وفي هذا إمكان طلب الإمامة في الدين ، قال إبراهيم النخعي: لم يطلبوا الرياسة بل أن يكونوا قدوة في الدين؛ وهذا حسن أن يطلب ويسعى له" [5]. ومنزلة الإمامة في

---

[1] - تفسير ابن كثير 331/3.

[2] – سورة الشعراء، الآية 84.

[3] - سورة القصص 41.

[4] - الحسنة والسيئة 74/1.

[5] - تفسير ابن عطية: سورة الفرقان، آية 74.

الدين منزلة علية، لا يُوفق لها إلا من وفقه الله – تعالى –، فهي تحتاج إلى جهد كبير، وصبر يتحمل به صاحبه عقبات الطريق، ويقين يثبت صاحبه على الحق، ويمنحه القوة في الاستمرار على طلب المعالي، ونيل القمم العوالي يقول الإمام السعدي – رحمه الله –: (أي: أوصلنا يا ربنا إلى هذه الدرجة العالية؛ درجة الصديقين والكمَّل من عباد الله الصالحين، وهي درجة الإمامة في الدين، وأن يكونوا قدوة للمتقين في أقوالهم وأفعالهم؛ يُقتدى بأفعالهم، ويطمئن لأقوالهم، ويسير أهل الخير خلفهم، فيهدون ويهتدون، ومن المعلوم أن الدعاء ببلوغ شيء؛ دعاء بما لا يتم إلا به، وهذه الدرجة درجة الإمامة في الدين لا تتم إلا بالصبر واليقين؛ كما قال – تعالى –: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[1]. ومما يستفاد من دعاء عباد الرحمن ما يلي:

*أهمية هذه الدعوة كسابقتها لثناء اللَّه تعالى على قائليها، وكذلك ملازمتهم، وتكرارهم هذه الدعوة بين الحين والآخر وجعلها وردا دون انقطاع في الحل والترحال ، كما أفاد الفعل المضارع (يقولون). الذي يفيد الاستمرار.

*إن هبة اللَّه تعالى من أعظم النعم، ولذلك توسّلوا بها.

*إن سؤال اللَّه تبارك وتعالى إصلاح الزوجة والذرية من المقاصد المهمّة التي ينبغي للداعي الاعتناء بها.

---

[1] - سورة السجدة 24.

*ينبغي للداعي أن يعظم رغبته في الدعاء، وأن يسأل اللَّه تعالى أعلى المطالب، وأسمى المراتب، كما في سؤالهم اللَّه تعالى أعلى مراتب الدين ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾.

*فيه بيان لعظم الدعاء، وأنه من أعظم الأسباب في إعطاء المرجوّ، وأنه يدلّ على عظم كرم اللَّه تعالى، وكمال قدرته، وسمعه، وعلمه، ويدلّ على محبّة اللَّه تعالى له.

* الصبر (خصلة التؤدة). ﴿أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَماً * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾.

لعل كلمة الغرفة واردةٌ على سبيل الكناية عن الدرجة العالية في الجنة، والمقصود بالصبر الذي يبلغ به هؤلاء علوّ الدرجة في الجنة، الصبر على طاعة الله وهو الصبر على المأمور ، والصبر عن معصيته ، وهو الصبر على المحظور ، والصبر على ما يصيبهم من البلاء ، وهو الصبر على المقدور ، لأن ذلك يدل على الالتزام العميق، والروحية العالية، والإرادة الصلبة، والوعي، والارتباط بالله من أوثق المواقع، ليكون لهم السعادة في الحصول على رضاه، في مواجهة غضب كل الناس مع كل ضغوط الحرمان المادية والنفسية والمعنوية على حياتهم. وهكذا تؤكد هذه الآية وغيرها من الآيات أن الصبر يمثل الإطار للمضمون الإيمانيّ في حياة الناس، الذي يحتوي كل مواقع الحياة الرسالية ومواقفها. فبالصبر يحصل

الفلاح، وبالصبر يتأكد الخير والحق والصلاح، وبالصبر ينال الناس ما عند الله من النعيم والسعادة والرضوان في الجنة.. ويلقّون فيها التحية من الله، والسلام من ملائكته، في ما يعبر عنه من اللطف والرعاية والرحمة والحنان. ولعلك قد علمت ما لصفات عباد الرحمن وأخلاقهم التي وعدهم ربهم عليها الدرجات الرفيعة في الجنة، بسبب صبرهم على ما لاقوه في سبيل تمسكهم بتلك المبادئ وتحليهم بتلك الخصال، فكلّ من التزم مبدأ وثبت على منهج، لا بد أن يلقى في سبيل ذلك أذى ممن لا يلتزم ولا يسلك منهجه. لذلك لم يذكر الله سبحانه وتعالى المصبور عنه ليعم كل نوع من أنواع الصبر.

وهذه هي الشعبة السادسة والستون من شعب الإيمان، والتي هي" **الصبر وتحمل الأذى** "، وتندرج ضمن خصلة **التؤدة**[1]، فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وأقداره المؤلمة، ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين؛ خيراً كثيراً، وعطاءً جزيلاً، وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل؛ ولهذا لما كانت هممهم ومطالبهم عالية؛ كان الجزاء من جنس العمل، فجازاهم بالمنازل العاليات فقال: ﴿ **أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا** ﴾[2]، أي: المنازل الرفيعة، والمساكن الأنيقة الجامعة لكل ما يشتهى وتلذه الأعين؛

---

[1] – عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي، ص 289.

[2] – سورة الفرقان 75.

وذلك بسبب صبرهم؛ نالوا ما نالوا كما قال تعالى: ﴿ **وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾[1]؛ ولهذا قال هنا: ﴿ **وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا** ﴾ من ربهم، ومن ملائكته الكرام، ومن بعض على بعض، ويسلمون من جميع المنغصات والمكدرات"[2]، وقد بيّن المصطفى صلى الله عليه وسلم علو منازل أهل الغرف، من علوّ، ورفعة المكانة، والمكان، قال النبي صلى الله عليه وسلم (**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ**)[3]، وفي لفظ لأحمد: (**في تفاضل الدرجات**)[4].

وفي تلك الغرف العالية يكرمون بالدعاء لهم بالتعمير والحياة الدائمة والدعاء بالسلامة، وكلتا الدعوتين ترجعان إلى نعيم الجنة الباقي الذي لا ينقطع، والذي خلص من شوائب الضرر والكدورات. على أن التحية

---

[1] - سورة الرعد 23-24.

[2] - تفسير السعدي (588/1).

[3] - البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، برقم 3256، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب في السماء، برقم 2830.

[4] - أحمد بن حنبل، المسند، 14/ 178، برقم 8471.

والسلام تلقى عليهم من الملائكة، ولعله أرفع لشأن عباد الرحمن وأكرم لقدرهم أن تكون التحية والسلام من الله جلَّ جلاله، يتوج بها النعيم المقيم الذي يتقلبون فيه في غرف الجنة كما صرح بذلك في قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾[1].

والأمن من زوال النعمة عنهم أو زوالهم عنها، أو انقطاعها أمر أساسي لإدخال الطمأنينة إلى قلوبهم كما تقدم في السياق في هذه السورة: ﴿ **قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا** ﴾[2]، فالجنة خالدة بنعيمها عليهم، وهم خالدون فيها لا يزولون عنها. وهذا منتهى إدخال الأمن والطمأنينة إلى القلوب . إن المسكن الدنيوي والإقامة المرفهة مهما كانت متكاملة المرافق واسعة الأرجاء محققة لرغبات ساكنها، فكونها معرضة لآفات التقادم والتآكل والخراب والزوال لا تجعل ساكنها قرين العين بها، أما جنات الخلد فحسنت مستقراً ومقاماً ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا** ﴾[3].

﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

---

[1] - سورة يس، الآية 58.

[2] - سورة الفرقان، الآيتان 15 – 16.

[3] - سورة الكهف، الآية 108.

إن الذي لا يرفع لهدايات القرآن رأساً ولا يلقي لها بالاً هو أهون عند الله من أن يجعل له وزناً ومقداراً، وأن يكترث ببقائه أو هلاكه، فلولا التجاؤهم إلى الله في الشدائد، ولولا أن الله قطع على نفسه بإرجاء عقوبتهم إلى الآخرة: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[1]. لولا ذلك لأنزل عليهم عذاب الاستئصال ولا يبالي بشأنهم ولا يعبأ بهم، لقد استحقوه بأفعالهم وأقوالهم التي تؤدي بهم إلى البوار.

الخاتمة

هكذا نرى أن عباد الرحمن الذين يختصهم الله برحمته، ويدعوهم إلى جنته، ويشملهم برضوانه، هم الذين تتجسد فيهم ملامح الشخصية الإسلامية في الإيمان بالله الواحد، واليوم الآخر، وفي التجسيد العملي في التزام طاعة الله في أمره ونهيه، وتطلّعهم إلى السموّ الروحي في آفاقه، والارتفاع المتحرك في طريقه، وفي الاندماج بالمجتمع الذي يلتقي على كلمته. وإذا كان الله قد تحدث عن بعض صفات هؤلاء الفتية من عباد الرحمن المخلصين، فإن الحديث يطرح هذه الأمور كنماذج للصفات الإيجابية والسلبية التي تمتد في كل أحكام الله في ما تمثله من قاعدةٍ أخلاقيةٍ متحركةٍ في مفرداتها العملية في حياة الإنسان، فإن الله يريد له أن يتخلق بأخلاقه، ويلتزم بكل أحكامه، ويجعل كل حياته صورةً حيةً لما هو

[1] - سورة الأنفال، الآية 33.

الإسلام، ولما هو الإيمان في مفاهيمه العقدية والروحية والعملية. ولما هو الإحسان، لا إله إلا الله، محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

تم بمنّ الله وتوفيقه بمكناس في صباح يوم الجمعة 24 ربيع الأول 1441هـ الموافق 22 نونبر 2019.

الفهرس

المصادر والمراجع

- البيهقي، السنن الكبرى للبيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الطبعة الأولى . 1344 هـ.

- الدارمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية، 1414 – 1993.

- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية، بيروت.

- الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة نور الدين الهيثمي تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1413 – 1992.

- عبد السلام ياسين، المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا، دار الآفاق الطبعة الرابعة 1422 – 2001.

- عبد السلام ياسين، تنوير المؤمنات، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1996م.